

مدارس المعجمات اللغوية القديمة

*ابو سعد شفيق الرحمن

**حافظ شفيق الرحمن

Abstract

In the following article, the introduction of research and methodology of important dictionaries of Arabic language has been presented along with the brief life history of their writers.

I have divided these dictionaries under three schools of thoughts and explained the differences between a school and the other and through examples made it understandable.

But before the main subject we started the article with dictionaries' definitions in different dictionaries and according to the common use of this term, beginning of art of writing dictionaries and causes of its writing.

As for starting and development in Arabic dictionaries is concerned, The Arabs are on winning post in preparing dictionaries, the broad light has been thrown on these topics. So, the basic information about these dictionaries comes forward.

سنقوم في هذا المقال بالكلام حول أهم المعاجم اللغوية العربية وأساليبها حسب المدارس المعجمية الثلاثة المشهورة مع ذكر نبذة عن أحوال مؤلفيها ولكن قبل ذلك سنتعرض باختصار بذكر الأسباب التي دعت إلى تأليف المعاجم وكيف توسع نطاق هذا الفن ومنهم أسبق الأمم في تصنيف المعاجم وما هي المراحل التي مرّ بها هذا الفن ومن هم رواده من علماء العرب ثم سندخل في الموضوع الأساسي.

فيها أن نناقش اسباب تأليف المعاجم نكشف الغبار عن أوراق التاريخ وننظر إلى تلك الفترة التي فتح فيها المسلمون أكثر بلاد العالم وتوالت هذه الفتوحات ودخلت الأمم في دين الله أفولجاً وصارت العربية غرض كل أمة تدخل في الإسلام فكان من أهم متطلبات ذلك الحين أن يقوم ويتقدم "رائدوا" الأمة العربية وحاملوا لواء العلم بحفظ لغتهم وخاصة القرآن الكريم من الألفاظ الدخيلة فنتيجة لذلك قاموا من أنفسهم حرصاً على اللغة العربية يصونونها ويعبدون عنها الدخيل حيث أحس العلماء حاجة إلى أن يضبطوا العربية ويميزوها عن أثر بقية اللغات واضطروا لذلك إلى تأليف المعاجم فكانت الأسباب الداعية إلى ذلك:

العناية بفهم القرآن الكريم وتفسير الألفاظ الغريبة الواردة فيه لأننا نرى كثيراً من الكلمات التي استغلقت معانيها على الفصحاء من العرب كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، حيث لم يقع لعمر معنى الأب في قوله الله تعالى "وفاكهة وأبا" ولابن عباس معنى كلمة "فاطر" (١).

*استاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية بهاولبور

**استاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الإسلامية بهاولبور

ولما أخذت عن القرآن علوماً كثيرة كعلم القرات وغيرها من العلوم التي عرض لها السيوطي في كتابه "الاتقان في علوم القرآن" ولعل هذه هي اول عناية باللغة العربية (٢) ومن الأسباب التي دعت إلى تأليف كتب اللغة والمعجمات أيضاً شيوع اللحن في السنة العرب نتيجة لاختلاطهم بالعجم كما تدل عليه رواية الفارسي مع أبي الأسود الدولي (٣). فكانت هذه الوجوه التي حملت العلماء على العناية باللغة حيث إتجهوا إلى التأليف أخذوا الصحيح وبالغوا في الحيطة و الحذر وحشو كل ما وصل إلى علمهم من مفردات اللغة مما كان صحيحا لاغبار عليه وسهلوا الطريق لمن كان يرغب أن يهتدى إلى الكلمة المطلوبة. وأما البحث عن نشأة علم المعاجم فلاشك أن العرب لم يكونوا أول من ابتكر المعجم بل سبقهم أم بقرون مثل الأشوريين والصينيين واليونانيين (٤) مع ذلك أن العرب كانوا مسبقين في هذا السبيل ولكن المقطوع به أنهم أول من وضعوا معجمات كاملة دقيقة مستوعبة. وأول من وضعوا معجمات من أصحاب اللغات الحية وأول من اشتغلوا باللغة وعلومها وفنونها واستوعبوا كل ذلك أجمل استيعاب، فألفوا معاجم أسماء الرجال والنساء وسموها كتب الطبقات، وافردوا لكل طائفة طبقة، فهناك طبقة النحاة، واللغويين، وطبقة القراء، وبقية المحدثين وغيرها مما يتصل بجميع ألوان العلوم والفنون والمعارف (٥) هكذا اتسع نطاق التأليف اللغوي وتعددت أنواع المعجمات على مر الزمن وأصبح لكل فن معجم بل صار للفن الواحد معجمات، ولم تجمع اللغة العربية دفعة واحدة بل مرت بمراحل ومن هذه المراحل: ما صنعه كتاب الصحابة عندما كانوا يتلقون من رسول الله صلي الله عليه وسلم ما استعلق عليهم معناه من كلمات القرآن والأحاديث النبوية وكانت هذه الخطوة السابقة في تدوين اللغة (٦) ثم تليها المرحلة الثانية وهي فرع من المرحلة الأولى ويمثلها عبدالله بن عباس أحسن تمثيل كان يفسر للناس غريب القرآن والحديث، ثم تقدم العلماء في جمع الكلمات وتدوينها، فكانوا يجمعون المفردات بحسب المعاني والموضوعات (٧) ثم بلغ التأليف اللغوي القمة عندما صنف العلماء المعجمات التي تشمل أكبر عدد من مفردات اللغة على ترتيب خاص مصحوبة بشرح المعاني يرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة أو أصلها. ثم فتح باب التأليف اللغوي والمعجمي أمام العلماء و تطور مع الزمن وبلغ الاتقان، وسبق كل هؤلاء فيما يشبه التأليف المعجمي الرواة والنسابون، ومن غير أن من وضعوا معاجم الطبقات هم خلفاء النسابين العرب الذين حفظوا طبقات الأنساب ولا يقتصرون بحفظهم على أنساب القبائل والرجال والنساء بل يشمل طبقات الخيل والفحول والتميز بين و مزاياها (٨) وهنا نرى من المناسب أن نشير إلى رواد كل جيل من أجيال علماء اللغة في إبان ازدهار عصر التأليف فيها إتفق العلماء على أن الرائد الأول في الدراسات اللغوية والنحوية هو أبو الأسود الدولي، وقد أخذ عنه أقطاب الجيل الأول: وهم يحيى بن معمر، وغسبة الفيل، وميمون بن الأقرن، ونصر بن عاصم. وبرز من الجيل الثاني: عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ) ومعاصره عمر بن العلاء. واما الجيل الثالث فكان على رأسه الخليل بن أحمد * (ت ١٧٠هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) وفي الطبقة الرابعة برز الكسائي (ت ١٩٧هـ) ونصر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) وقطرب (ت ٢٠٦هـ) وأبو عبيدة (ت ٢١١هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) والأصمعي (ت ٢١٧هـ) وأبو عبيد القاسم

بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ويلى هذا الطبقة لاحقاً بقودهم ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) وابن دريد (ت ٣١٢هـ) (٩)

* هو ابو عبدالرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدى. وكان يونس يقول الفراهودى مثل قردوس وهو حى من الأزدي وقال ابن حجر "الأزدي" "الباهلي". وابوه أحمد كان أول من سمى بهذا الاسم بعد رسول الله كما نقل عن المبرد أنه قال فتش المفتشون فما وجد بعد نبينا من اسمه أحمد قبل أبى الخليل .

وكانت ولادته فى سنة مائة للهجرة أخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه وأكثر الخروج إلى البوادي وسمع الأعراب الفصحاء فنبح فى العربية. وكان من الزهاد فى الدنيا والمنقطعين إلى العلم. طلبه سليمان بن على من الأهواز لتأديب أولاده، فأخرج خليل إلى رسوله خيراً يابساً وقال: ما عندى غيره، وما دمت أجدّه فلا حاجة لى إلى سليمان

درس الخليل الحديث وفقه اللغة على ايوب السخيتانى وعاصم الأحول والعوام بن حوشب وغيرهم. وقد تخلقى عن المذهب الإباضى واعتنق مذهب أهل السنة عملاً بنصيحة أستاذ هـ ايوب.

وكان الخليل بن الفراهيدى مقدم بفكرة الخلاق اكتشافات ، رائد فى ميادين شتى، فكان أول من ابتدع فكرة المعجم فى لغة العرب واستنبط من علل النحو مالم يستنبط احد، ومالم يسبقه إلى مثله سابق وهكذا أول من حصر أشعار العرب فى أوزان عروضية إهتدى إليه ، كما أنه عمد إلى زمّ أصناف النغم وحصر أنواع اللحن فى الموسيقى.

وكان سفيان الثورى يقول: من أحبّ ان ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر إلى الخليل بن احمد الفراهيدى. وكان نصر بن شميل يقول: ما رأيت رجلاً أعلم بالسنّة بعد ابن عون من خليل بن أحمد. من مؤلفاته "كتاب العين"، "جملة آلات العرب"، "تفسير حروف العلة"، "العروض"، "النقط والشكل"، "النقم"، "الجمال" و"الشواهد". توفى الخليل سنة سبعين، وقيل خمس وسبعين ومائة، وقيل عاش أربعاً وسبعين - سنة - وقال ابن قانع فى تاريخه المرتب على السنين: إنه توفى سنة ستين ومائة.

المدرسة الأولى:

أول من قام بهذا الجهد العظيم والخدمة أرفيعة وتمثل نظرية المعجم تمثلاً كاملاً خليل بن أحمد الفراهيدى حين صنف كتابه المسمى بالعين، ولقد أتم هذا العمل فى زمن مبكر قبل أن يتم جمع اللغة بطريقة شاملة وتصنيفها إلى موضوعات مختلفة ، وكان ذلك أول جهد يصادفها عالم لغوى قديم مشكلة البحث عن شكل لمعجمه وكان دأبه فى ترتيب كتاب العين كما يقول عنه ابن كيسان: سمعت من يذكر الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا إسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها تكون مهموسة خفية لاصوتها، فنزلت إلى الحيز

الثانى وفيه العين والحاء فوجدت العين أفصح الحرفين فبدأت به ليكون أحسن فى التأليف وليس العلم بتقديم شئى على شئى لأنه كله يحتاج إلى معرفة (١٠).

أما المنهج الذى نهج عليه الخليل فى كتابه أنه رتب الألفاظ حسب الحروف، وقد ابتدع لنفسه نظاماً صوتياً للحروف حسب مخرجها من أقصى الحلق إلى الشفتين وختم كتابه بحروف العلة، فكان ترتيب الحروف فى كتاب العين حسب هذا النظام الصوتى كما يلي: ع ح ه خ غ ق ك ج ش ص ض س ز ط ر ذ ث د ل ن ف ب و ا ء (١١).

وقد جعل الخليل معجمه أقساماً على عدد الحروف وسمى كل قسم كتاباً، فابتدأ معجمه بكتاب العين وأتبعه كتاب الحاء فكتاب الهاء حتى استوفى سائر الحروف. وهكذا سمي كتابه "العين" لأنه الحرف الذى بدأ به (١٢). تتبع الخليل أبنية كلام العرب تتبعاً علمياً دقيقاً، وحصرها بين الثنائى والخماسى وفصل الألفاظ المعتلة جاعلاً الهمزة من حروف العلة، مفرداً لها باباً بعد أبواب الثلاثى ذكر فيه الثنائى المضاعف والمعتل والثلاثى المعتل بحرف، والثلاثى اللفيف، وفرق الأبنية على كل باب، مبتدئاً بالثنائى المضاعف، فالمضاعف الثلاثى الصحيح، فالمضاعف الثلاثى اللفيف، فالرباعى والخماسى وجعل

الأخرين فى باب واحد لقلّة الألفاظ التى وردت منها، وأشار للمستعمل والمهمّل فى أبنية الثنائى والثلاثى، أما الرباعى والخماسى فأغفل الإشارة إلى المهمّل منها: لأنه فوق

الحصص (١٣). مثلاً نرى فى باب الزاى (زط، زر، رز، زل، لز، زن، نز، زف، فز الخ) (١٤) وأما الثلاثى الصحيح: (طرز، طرز، زرد، درز، زند، زيد، ترز، زتن زفت الخ) (١٥) والثلاثى المعتل (زدو، زود، زيد، زاد، أزد، زيت، تيز، إلى أن ينتهي (١٦) أما

اللفيف منه (زيبى، زوى، وزى، زوزى، وزوز، الخ) (١٧) والرباعى (زردهم، دلمز، فنرز، زرفن، زرنب، زنبر، زأبر .. الخ) (١٨) وأما الخماسى (زندميل) (١٩). ونرى

فى ترتيبه أن الكلمات المشتركة فى الحروف ولو اختلفت فى الترتيب تشترك فى المعنى أو المصدر الذى تنفرع منه، وذلك يدل أنّ الخليل عنى بالتنسيق الاشتقاقى للمواد التى

يتناولها، ولم يقف عند شرح المادة ومقولاتها وفروعها على طريق الاشتقاق

الأكبر (٢٠). وهكذا نهج الخليل فى ترتيب التقاليد أى مواضع حروف المادة، وابتكر بعد هذا كله نظام آخر أتبعه بعض العلماء ممن جاء بعده وألفوا معجمات لغوية، وهذا النظام

يقوم على ذكر الكلمة وقلبها إلى كل وجه بحيث مقولاتها كلمات ويذكرها كلها فى موضع واحد فكلمة "الضرم" ذكرها فى حرف الضاد. وقلبها حتى تولدت منها هذه الكلمات

الآتية: ضم، مرض، رضم، رمض، ومما هو ليس مستعمل فى كلام العرب أشار إليه، ولمّا جاء فى كتاب الرءاء والميم ترك ذكر الرضم والرمض والمضر، والمرض لأنه قد

سبق ذكرها فى كتاب الضاد (٢١). قام الخليل بشرح المواد اللغوى على دعائم قوية هي القرآن الكريم والحديث (على صاحبها الف تحية وسلام) والشعر، والأمثال وكان اعتماده

على القرآن الكريم والشعر أكثر ممّا سواهما، وهكذا من منهج صاحب "العين" هو إحصاء ألفاظ اللغة التى كان يمكن أخذها فى عصره، فإنه أحصى فيه عدد كبير من أبنية

كلام العرب المستعملة والمهملة، فبلغ ٤١٢، ٣٠٥، ١٢ كلمة ولعله أراد ما يمكن تكوينه بترتيب حرف الهجاء على كل شكل من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى، ولم يذكر

عدد الكلام المستعمل منها ولكن إهتم الزبيدى الذى اختصر كتاب العين إلى هذه المسئلة

ودرسها، والنتيجة التي أخرجها بعد دراسته أن عدد الألفاظ العربية ٦٩٩,٦,٤٠٠,٠ واما الألفاظ غير المستعملة فهي ٦٢٠,٥ لفظا والباقي ٧٨٠,٦٩٣,٦ لفظا مهملًا (٢٢). إن كتاب العين له مكانة عظيمة وقيمة خاصة للذين جاؤا بعده في ميدان اللغة وتصنيف المعاجم فلم يأتي بعده مؤلف في اللغة أو معجم إلا استفاد صاحبه منه حتى أن كثير من اللغويين ومولفي المعاجم أوردوا كلامه نصًا (٢٣). ومن المعاجم التي سارت على منهج الخليل واستفاد أصحابها من العين، الأزهرى في التهذيب" وابن عباد في "المحيط" والقالى في "البارع" (٢٤).

مع أن أصحاب هذه المعاجم نهجوا الطريق الذي وضعه الخليل ولكنهم لم يتبعوه في كل ماوضع من مسالك في ترتيب معجمه بل خالفه في بعض المقامات حيث لم يسع لهم الإتفاق معه مع الرغم أنهم خالفه ولكن لم يستطيعوا أن يبتكروا مثل الخليل ولم يقدروا الخروج عن قواعد المدرسة المتبوعة . ومع ذلك كله أراد متبعوا مدرسة الخليل أن يقدموا شيئاً جديداً ، فوصف الأزهرى علمه في معجمه أنه يهذب اللغة ونفى الغلط عنها وحاول التصويب في الألفاظ التي لحقها شيبى من التصحيف والتحريف . أما بن دريد فسمى كتابه "جمهرة اللغة" وإسمه يدل على مسماءه وإلى غرض صاحبه من إنجاز هذا العمل فكان غرضه استقصاء اللغة العربية ، وأما فيروز آبادى فأراد من تأليف "المحيط" إستيعاب المواد واستدراك ما أغفله غيره ممن سبق، والقانى لا يختلف كثيراً عن ما أراد الأزهرى (٢٥). والأمر الذي اختلف فيها متبعي هذه المدرسة مع الخليل أن الخليل جعل كل كتاب في معجمه قائماً على حرف الهجاء، ومقسماً إلى أربعة أبواب؛ الثنائى المضاعف، والثلاثى الصحيح، واللفيف، وجعل الباب الرابع للرباعى والخماسى، هكذا كان دأب القالى إلا أنه أفرد لكل من الرباعى والخماسى باباً على حدة ، وعزل ما كان ثلاثياً معتلاً بحرف عن اللفيف وسماه الثلاثى المعتل .

والأزهرى اختلف مع الخليل في المهموز وأحرف اللغة، فالخليل حشد ما كان معتلاً بحرف أو حرفين مع المهموز دون تفرقة ، وجعله ما فى باب اللفيف ولكن الأزهرى أفرد المهموز وعزله عن المعتل ولكنه لم يوفق كل التوفيق (٢٦). ونرى صاحب أنه فعل مثل الأزهرى فى باب الفيف وبدأ الباب بالصحيح ، ثم ما كان مبدؤاً بالهمزة، ثم ما كان أوله واو، ثم ما كان أوله ياء، ولكن ترك صاحب هذا المنهج فى الثلاثى المعتل . وحاول "ابن فارس" أن يتخلص من مدرسة الخليل ولكن مع كل ما حاول نراه تبع العين فى بعض الخطوط التى خطها الخليل، منها أنه قسم معجمه بحسب الأبنية وهذا هو بعض قواعد كتاب العين. أقول فى ختام الكلام أن هذا الخلاف الذى نراه بين الخليل وأتباعه لا يعود إلى قصد المخالفة ولا ينقص من مكانة الامام الرائد ولا يحط من قدره شيئاً ففضل الابتكار منسوب إليه وذكره مرفوع به . وذلك ليس من المستغرب لأن مرور الأيام وتقدم الأوان تحدث تغيرات فى الأمم وكلما تطورت الحضارات كثرت متطلباتها ! من المستحيل أن نبق على ما كان عليه أبائنا فى باب التحقيق لأن اليوم الذى نحن فيه وما كان فيه أبائنا لا يتفقان فى البيئته والحضارة والتطور والرقي. واليوم نرى من

الأشياء التي لم يكن لها أثر فيما سبق. ولكن مهما تقدمنا اليوم، أفضّل للمتقدمين لا يشاركونهم فيه أحد!
المدرسة الثانية:

وقد لجأت هذه المدرسة إلى نظام آخر في ترتيب الحروف غير نظام مخارج الحروف الصوتية وهذا النظام هوذا ترتيب الكلمات وفقاً لترتيب الحروف الأبجدية، نذكر تحت هذه المدرسة معجمين أساسيين. أحدهما: "الجمهرة" لابن دريد* والجمهرة أحد المعاجم العربية الكبيرة، نهج فيه منهج الخليل، مع أنه أراد أن يتخلص منه، ولكنه اتبعه في كثير وشذ عنه في بعض مثل الترتيب، إذ رتب كتابه على حروف المعجم، وعنى كثيراً بترتيب الحروف جاعلاً أساسه الأبنية، وسار على طريقة الخليل مدخلاً فيه بعض الزيادات، وبدأ بالتثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي، ثم ملحق الرباعي، ثم الخماسي والسداسي وما يلحق بهما (٢٧)، وأفرّد للنوادر باباً خاصاً بخلاف الخليل الذي وضعها مع المواد كلا في بابيه.

من مؤلفه: كتاب الجمهرة، المجتبى، كتاب الملاحن، كتاب المقتبس وغيره ذلك واتبع ابن دريد الخليل في نظام قلب الكلمة وابتدع نظاماً في ذكر المواد، وهو أن يبدأ كل باب بالكلمة المبدوءة بالحرف الذي وقف عليه الباب أخذاً بالحرف الذي يليه تاركاً ما سبقه، فإذا كان في باب الدال مثلاً ترك ما قبلها من الحروف وهي: الدال مع الهمزة، والدال مع الباء، والدال مع التاء، والدال مع الثاء، والدال مع الجيم، والدال مع الحاء، والدال مع الخاء، والدال مع الدال، وبدأ بالحرف الذي يليه فيذكر الدال مع الدال، فالدال مع الراء، وهكذا حتى ينتهي، ولا يذكر بعد ذلك الدال مع الحروف التي تسبقه في الترتيب الهجائي لأنه ذكرها فيما سبق من المواد (٢٨). كما نرى مثلاً في الدال في الثلاثي الصحيح فإنه يبدأ بمادة دذر، دذو، دذه. هكذا يفعل في باب الدال والراء ويأتي بمادة (درز) ثم يصل إلى (درن، درو، دره، دري) ثم يذكر باب الدال والزاي ثم باب الدال والسين إلى أن ينتهي (٢٩). إن منهج ابن دريد منهج الخليل كما ذكرنا إلا في بعض النقاط، اتفق معه في نظام الأبنية، وما ينشأ عن الكلمة باتباع نظام القلب كما مثلنا فيما كتبناه عن كتاب العين، وخالفه في البدء في كل باب بالحرف الذي يعقده عليه تاركاً ما قبله أخذاً بما بعده.

* هو الإمام المسلم والعماد الأعلّم محمد بن حسن بن دريد بن عتاهية بن خثيم العربي الأزدي البصري اللغوي الشافعي الملقب بابن دريد ولد ابن دريد سنة ٢٢٣هـ وعنى عمه الحسين بتعليمه فألحقه منذ نعومة أظفاره بالكتابين ثم بحلقات العلماء، انتقل ابن دريد مع عمه عن البصرة في سنة ٢٥٧هـ وسكن عمان وأقام بها اثني عشرة سنة ثم عاد إلى البصرة، ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب أبي ميكال ثم انتقل إلى بغداد، كان ابن دريد إمام عصره في اللغة والأدب والشعر، قال المسعودي في مروج الذهب كان ابن دريد

نهاية في اللغة، وقام مقام الخليل بن احمد، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتاب المتقدمين أخذ ابن دريد العلم عن السجستاني والحسين بن دريد عمه وعبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي وغيرهم، ومن تلامذته ابو على اسماعيل بن القاسم القالي، ابو سعيد الحسين بن عبدالله السرافى وغيرهم. ذكر أنه توفي سنة ٣٢١هـ مع اختلاف العلماء في ذلك.

وبعض العلماء لا يوثق ابن دريد كالإمام الأزهرى الذى يقول فى مقدمة تهذيبه : "ومن ألف فى عصرنا الكتب ووسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول، وإدخال ما ليس فى كلام العرب فى كلامهم :

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة" (٣٠). ومع ما قيل فى ابن دريد فإنه أحد أئمة اللغة الذين خدموا العربية أجل الخدمات، ومع ما قيل فى "الجمهرة" فإنه معجم عظيم ، ومن الإنصاف أن نبرى ، ابن دريد مما اتهم به . فقد كان يتحرى فى الرواية ، ولا يذكر إلا ما يرضى عنه ، ولئن اشتمل كتابه بعد هذا على أوهام أو خلل أو خطأ فإن الكتب الكبيرة لا تخلو من المآخذ والعيوب.

وقيل : إن ابن دريد أملى الجمهرة دون الاستعانة بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى الهمة واللفيف ، وإذا صح هذا فإن ابن دريد يتفرد بين مؤلفى المعجمات بهذه الموهبة النادرة الفذة ، فإملا عالم مهما بلغ علمه معجماً من حفظه وعلمه وعقله دون الاستعانة بكتب حدث جدير بالإعجاب؛ وعمل قمين بأن يقدر صاحبه أعظم القدر، وعمل كهذا معجز ؛ ولم نسمع عن مؤلف معجم صنع ما صنع دريد (٣١).

ذكر القوم ان نسخ الجمهرة كثيرة الزيادة والنقصان لأن ابن دريد أملاها بفارس* ثم ببغداد من حفظه فلما اختلف الإملاء زادو نقص والباقية التى عليها المعول هي النسخة الأخيرة وأخر ماصح من النسخ نسخة أبي الفتح عبيد الله بن احمد بن محمد النحوى المعروف بجخجخ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه . طبع جمهرة اللغة فى حيدر آباد الدكن فى الهند من سنة ١٣٤٤هـ إلى سنة ١٣٥١هـ و قدم لهف . كرنكوى (.Krenkow,f)

وقد نقلنا بعض الروايات عن (المزهر) للسيوطى فإنه ذكر أنه ظفر بنسخة من الجمهرة بخط أبى النمر احمد ابن عبد الرحمن بن قابوس الطرابلسى اللغوى وقد قرأها على ابن خالويه بروايته لها عن ابن دريد وكتب عليها حواشى من استدراك ابن خالويه على مواضع منهاونبه على بعض أوهام وتصحيقات وغالبها فى نسخة المكتبة الأصفية(٣٢).

والثانى: معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس من المعاجم التى لها مكانتها المنفردة بين المعاجم الأخرى وكان غرض المؤلف فى وضع هذا الكتاب الثمين دراسة مسائل دقيقة من مسائل اللغة، وهي وجود أصل واحد مشترك فى جميع معانى المادة الواحدة. فقد

اهتدى ابن فارس إلى أن هناك معنى أساسياً أصلاً واحداً أو أكثر أحياناً مشتركاً في معانى المادة الواحدة وصيغها المختلفة فأراد دراسة هذه الظاهرة العامة.

* هو الوزير الكبير، والعالم النحير أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي القزويني اللغوي النحوي الشافعي ثم المالكي، وختلف في وطنه، قيل من قزوين وقيل ذلك أنه كان يتكلم بكلام القزوانة وهذا ليس بصحيح وانتقل من الراي إلى همدان سكنها كان ابن فارس اماماً في علوم كثيرة، خصوصاً اللغة وكان يناظر في الفقه وينصر مذاهب الامام مالك بن أنس وسلك مسلك الكوفين في النحو، وكان يث الفقهاء راعياً علي معرفة اللغة ويلقي عليهم المسائل وتلمذ في قزوين ابو الحسن ابراهيم بن علي، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن الخطيب وأحمد بن طاهر بن المنعم وغيرهم، أما تلامذته في عدد كبير منهم وأهمهم بديع الزمان الهمداني

صاحب المقامات

له تصانيف عديدة ومفيدة من أهمها، كتاب الجمل، مختصر الألفاظ، كتاب فقه اللغة، كتاب غريب إعراب القرن، كتاب العرق وغيره ذلك . في وفاته قولان، ٥٣٩٥هـ وقيل صفر ٣٧٥هـ والأول أشهر .

وأقام معجمه عليها، وسعى جهده لبيانها، فكان معجم المقاييس من أوله إلى آخره برهاناً عملياً دقيقاً أفاضه ابن فارس ونظامه في ذلك أنه قد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب ، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الباء . ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد ، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية .

والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين قد التزم فيه ترتيب خاص هو الا يبدأ بعد الحرف الاول الابالذي يليه ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء مرتباً ترتيباً طبيعياً علي نسق حروف الهجاء (٣٣).

ولكن في (باب الهمزة والتاء وما يثلاثهما) يتوقع القارى أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب : (أتب ، أتل ، أتم ، أتن ، آته ، آتو ، آتى) ، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء تسبقها ، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (آتى) . وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يرجع إلى التاء والياء (تب) ، لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء (٣٤) .

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلاثهما ، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلاثهما ، ثم باب التاء والحاء وما يثلاثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف ، ثم يرجع أدرجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلاثهما. وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم. وتجد أيضاً أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب ، ففي باب التاء والواو وما يثلاثهما يبدأ بـ(توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره ، وذلك لأن أقرب الحروف التي تلي الواو هي الياء (٣٥) .

وفى باب الثاء من المضاعف لا يبدأ بالثاء والهمزة ثم بالثاء والباء ، بل يرجىء ذلك إلى أواخر الأبواب ، ويبدأ بالثاء والجيم (ثج) ، ثم بالثاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يستأنف الترتيب بالثاء والهمزة (ثا) ثم بالثاء والباء (ثب) .

وفى أبواب الثلاثى من الثاء لا يبدأ والهمزة وما يتلثهما ثم يعقب بالثاء والباء وما يتلثهما ، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب فيبدأ بالثاء والجيم وما يتلثهما إلى أن ينتهي الحروف ، ثم يرجع إلى الأبواب التى تركها . وتجد أيضاً أن الحرف الثالث يراعى فيه الترتيب . ففى باب الثاء واللام وما يتلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم ، ثلب ، ثلت ، ثلج)..... الخ (٣٦)

وفى باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والحاء (جح) إلى أن ينتهي الحروف (جو) ثم ينسق بعد ذلك (جأ ، جب) . وفى باب الجيم من المضاعف يبدأ باب الجيم والحاء وما يتلثهما إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يتلثهما ، ثم باب الجيم والباء ، ثم الجيم والثاء ، مع مراعاة الترتيب فى الحرف الثالث ، ففى الجيم والنون وما يتلثهما يبدأ أولاً بـ(جنه) ثم (جنى) ويعود بعد ذلك إلى (جنا ، جنب ، جنت) الخ . هذا هو الترتيب الذى التزمه ابن فارس فى كتابيه (المجمل) و (المقاييس) وهو بدع كما ترى (٣٧)

وهذا الكتاب لم يسترع انتباه العلماء إلا منذ عهد قريب، وكانت وزارة المعارف المصرية قد اعترمت نشره منذ بضع سنوات ، ولكن لم يحقق ما اعترمته حينئذ . وقد أشار بروكلمان إلى أن كتاب المقاييس قد وضع فى البرنامج الذى وضعتة دائرة معارف حيدر آبادالذكن سنة ١٣٥٤ للكتاب التى انتوت نشرها ، وهذا العزم لم يحقق أيضاً . وهذا الكتاب لم ينل حظوة المجمل فى كثرة نسخه وتعدد أصوله ، فإن منه نسخة بالمدارسه المروية بالبلاد الفارسية ، وعن هذه النسخة أخذت صورتان لدار الكتب المصرية ، وصورة للمكتبة التيمورية ، وأخرى لمكتبة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ورابعة للمحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى (٣٨) .

وصوره دار الكتب المصرية إحداهما موجبة والأخرى سالبة ، كما اصطلاح هو أصحاب التصوير . فالموجبة برقم ٦٥٢ لغة والسالبة برقم ٦٥١ لغة . وقد نشرت إزاء صدر هذا الفصل من المقدمة صورة لبعض المواضيع من النسخة الموجبة - والنسخة فى ٧٧٩ صفحة ، يضاف إليها صفحتان كرد الترقيم فيهما سهولة وهما صفحتا ٤٩٧ ، ٤٩٨ وكل صفحتين منها فى لوح واحد من ألواح التصوير الشمسى ، عدد أسطره سبعة وعشرون (٣٩). طبع معجم مقاييس اللغة أول مرة فى القاهرة سنة ١٩٥٢/هـ١٣٦٦م فى ستة أجزاء بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون.

المدرسة الثالثة:

فى أواخر القرن الثالث الهجرى تقدم الجوهري* وأخذ الزمام بيده حيث قدّم للأمة العربية و للغة خدمة عظيمة إذ ألف كتابه الموسوم بالصّاح" وأتبع فى معجمه نظاماً جديداً يخالف نظام المدرستين الأولى والثانية ويقدم نظامه على الترتيب الأبجدي لأواخر الكلمات، يقول: العلامة السيوطى خلال ذكر المعاجم والبحث حولها خاصة التى سبقّت الصّاح "وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح بل جمعوا فيها ما صحّ وغيره ، وينهبون على ما لم يثبت غالباً وأول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه الامام أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ولهذا سمى كتابه بالصّاح".

أمّا ترتيب الجوهري فإنه يعتبر كما قلنا فى ما سبق آخر حروف المادة لا أولها، فإذا كانت الألف تأتى الأولى فى هذا الحروف فيبدأ معجمه بباب يجمع فيه جميع المفردات التى تنتهى بألف مهموزة ثم يقسم هذا الباب وفقاً لعدد حروف الهجاء إلى ثمانية وعشرين فصلاً، وهو فى هذه الفصول يأخذ فى الاعتبار مرّة أخرى ترتيب حرف الهجاء كما يعتبر الحرف الأول من المادة ، وفى صورة إن كان الحرف الأول كذلك الألف المهموزة فإنه يبدأ باب الهمزة بفصل الهمزة أى يبدأ بالكلمة التى تنتهى وتبدأ بهذا الحرف، اما الحرف أو الحروف التى قد تتبع الحرف الأول فإنه يتبع فيها نفس ترتيب حروف الهجاء ومن ثم يبدأ

*الجوهري هو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري. يقال انه ولد فى سنة ٥٣٣٢هـ، واختلف فى تاريخ وفاته، فقيل إنه توفى فى سنة ٥٣٩٣ أو ٥٣٩٨ أو فى حدود الأربعمئة دون تعيين. وفد الى العراق، وأخذ اللغة والنحو عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وعن خالد أبي يعقوب إسحق بن إبراهيم الفارابي (وهو غير الفيلسوف الأشهر أبي نصر الفارابي)، علي أن الجوهري لم يكتف بتحصيل اللغة عن طريق الرواية الصحيحة عن أعلامها، بل رحل إلى البادية، كما يفهم من مقدمة كتابه، وشافه - كما يقول- العرب العاربة فى ديارهم بالبادية، لم يال فى ذلك جهداً. وكان الهدف من هذه الرحلة هو الاستيثاق من صحة ما يجمع لديه من مادة اللغة. وبعد هذه الرحلة العلمية رحل الجوهري إلى خراسان، ومنها إلى نيسابور استقره المقام، وحيث مارس نشاطه فى التأليف والتدريس.

وذات يوم اعترى الجوهري خاطر غريب فذهب إلى الجامع القديم بنيسابور وصعد إلى سطحه وقال: "أيها الناس إني قد عملت فى الدنيا شيئاً لم يغلب علي، فسأعمل فى الآخرة أمراً لم أسبق إليه". وضم إلى جنبه مصراعى باب، وشدهما بخيط، وصعد مكاناً عالياً، وزعم انه يطير، ولكن وقع فمات.

الباب الأول (باب الألف المهموزة) بالفصل الأول (فصل الألف المهموزة) مع التزام بالترتيب الهجائى للحرف أو الحروف التى تتلوها (٤٠).

ومن ثم يبدأ هذا الفصل من ذلك الباب بمادة (أج أ) ، يليها مادة (أأ) وبهذا ينتهى فصل الألفاظ المهموزة لكى يبدأ الفصل الثانى وهو فصل الباء من نفس الباب وأول مادة فى هذا

الفصل هي (بَ رَأ) وكان الترتيب أن يليها مادة (بَ زَأ) ولكنها غير مستخدمة في اللغة فلذلك الجوهرى يسقطها ويأتى مكانها (بَ سَ أ) تلىها (بَ طَ أ) ويستمر حتى يصل إلى (بَ هَ أ) فينتهي بذلك فصل الباء من باب الألف المهموزة وبعده فصل التاء ففصل التاء ففصل الجيم حتى نصل إلى فصل الياء من باب الألف المهموزة فنرى فيها مادتين على التوالي هما (يَ أَىَ أ) و (يَ رَىَ نَ أ) وفي هذا المقام ختام فصل الياء من باب الألف المهموزة وهنا أيضًا ينتهى الباب ، ويبدأ باب الباء وأول فصوله فصل الألف أيضاً ، فتكون أول مادة في هذا الفصل (أب) وبعدها (أت ب) ثم (أدب) ٠٠٠ إلى آخر الترتيب الذى كان فى باب الألف.

وفى صورة الرباعية والخماسية يراعى إلى جانب نظام الباب والفصل ترتيب الحرفين الثانى والثالث فى الرباعى، الثانى والثالث والرابع فى الخماسى وفقاً لترتيب حروف الهجاء الواحد بعد الآخر، وفى "باب الدال" فصل الضاد مثلاً نجد مادة (ضَ دد) يليها الرباعى (ض ر غ د) (الضرغ د : الجبل) يليها الخماسى (ض ف ن دد) (الضفندد: الضخم الأحمق) وبعقبها الثلاثى (ض م د) وفى الثلاثى الأول تلت الضاد (وهي عنوان الفصل) الدال وفى المادة الرباعية تلتها (رائ) وفى الخماسية (فائ) وسقط ما بين الراء والفاء لعدم استخدامة وهذه هي القاعدة فى جميع الحالات ٠٠٠

هكذا أصبح معجم الصحاح مكوناً من ثمانية وعشرين باب فى كل باب (تقريباً) ثمانية وعشرين فصل قلت تقريباً لأنّ مادة اللغة لها طبيعتها الخاصة إذ تكثرت فى باب وتقل فى آخر (٤١).

مثلاً إذا رأينا فصل الألف من "باب الألف المهموزة" فنجد المواد على النهج التالى (أبأ، أتأ، أزأ، أشأى، ألا) ثم يبدأ بفصل الباب ب (بأبأ، بئأ، بدأ، بدأ، برأ) إلى أن ينتهى بمادة بوأ، وبهأ) ثم فصل التاء والثا، والجيم الخ (٤٢).

هذا هو النظام الذى سار عليه الجوهرى فى معجمه كله جعل معجمه نسقاً واحداً فهو سهل المأخذ حيث يصل الباحث فيه إلى مرامه من غير أن يضل . وعدد المواد الذى ضمه الجوهرى فى معجمه يبلغ أربعين الف مادة. مع كل هذه الجهود التى صادفها الجوهرى فى وضع معجمه إتفق العلماء فى النهاية على وقوع كثيراً من الأخطاء فيه نتيجة التصحيف ومن ثم وضعت الحواشى وصنفت الكتب التى تعاقبت الصحاح فى هذه الأخطاء (٤٣).

مهما كان الأمر فإنّ للصحاح مزايا كثيرة من حيث الدقة فى النظام والبساطة، وفيه دقة فى ضبط الكلمات، وجاء الجوهرى بالشواهد من الشعر والنثر، وعنى بالمسائل النحوية والصرفية، ولا شك أنّ الجوهرى أصل هذا النظام وحققه تحقيقاً متميزاً فى معجمه ، ففتح بهذا النظام باباً دخل منه أصحاب أكبر معاجم جاءت بعده ، ابن منظور* فى "لسان العرب" والفيروز آبادى فى القاموس" (٤٤).

طبع الصحاح أول مرة فى مجلدين فى مطبعة بولاق فى القاهرة سنة ١٢٩٢هـ ثم طبع مرة ثانية فى ستة أجزاء فى القاهرة أيضاً سنة ١٩٥٦-١٩٥٧م بتحقيق أحمد عبد الغفور

عطار .

وبعد الصحاح برزت أعمال كثيرة في مجال تصنيف المعاجم، حيث صنف كتب اللغة والمعاجم ومن أهم هذه الكتب ، أَلْكَتابَ الَّذي جاءَ في مطلع القرن السابع المسمى "بلسان العرب" لابن منظور الأفرقيّ والدافع الذي دفع ابن منظور إلى إنجاز هذا العمل أنه لما طالع الكتب التي

* ابن منظور هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم علي بن احمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري، كان ينسب إلي رويغ بن ثابت الأنصاري. ولد في المحرم سنة ٥٦٣٠هـ، وتلمذ لابن المقير ومرتضي بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلي وغيرهم. وكانت وفاته في سنة ٧١١هـ. عمل ابن منظور في ديوان الانشاء طوال حياته، وولي قضاء طرابلس، وكان ميله إلي التشيع ولكن دون مغالاة، كما كان محدثاً ، فأخذ عنه كثيرون، وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، فاضلاً في الأدب، مليح الإنشائ. والغريب في أمر ابن منظور اهتمامه طوال حياته باختصار الكتب المطولة التي صنفت قبله، فقد اختصر كتاب الأغاني، وكتاب الذخيرة، ومفردات ابن البيطار، وتاريخ دمشق، وكان لا يميل من ذلك. قال الصفدي: لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره . وكذلك يقال إن الكتب التي دونها بخطه من مختصراته بلغت خمسمائة مجلد. ونقول إن هذا الاهتمام بالتلخيص غريب لأنه حين صنف معجمه "لسان العرب" لم يحاول فيه اختصار كتاب من كتب اللغة التي سبقته، بل كان معجمه هذا أضخم وأوسع من كل المعاجم التي سبقته. ولكن ربما زالت هذه الغرابة عند ما نعرف الطريقة التي جمع بها مادة هذا المعجم.

صنفت قبل اللسان في مجال اللغة والأدب، فوجدها قسامين قسم كانت جيدة من ناحية الجمع ولكن ناقصة من ناحية الوضع، والأخرى كان موصفوها قد أحسنوا الوضع فيها ولم يحسنوا جمعها، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداء الجمع (٤٥).

يعلم مما سبق أنه كان غرض ابن منظور من تصنيف هذا المعجم العظيم أن يجمع بين إحسان الجمع وإحسان الوضع أي بين الاستقصاء في المادة وسلامة الغرض ، وأشار ممثلاً إلى هذه الكتب التي كانت ناقصة من إحدى الناحيتين مثلاً "تهذيب اللغة للأزهرى" و"الحكم لابن السيدة" على الكتب التي توافرت مادتها الدقة والإتقان ولكن عابها سوء الترتيب و اختلاط التبويب، ومن الناحية الأخرى ضرب مثلاً بصحاح الجوهري على حسن الترتيب والنظام ولكن كان مختصراً من ناحية المادة، فضلاً عما فية من الخطأ والتصحيح .

إستفاد ابن منظور في وضع معجمه من أكبر خمسة مصادر اللغة والأدب في وقته وأخذ أفضل ما كان فيها من مواد وحسن الترتيب، وهذه المصادر هي : التهذيب للأزهرى

، والحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، وحواشي ابن برّي على الصحاح، والنهاية لأبي السعادات بن الأثير، فهذه المصادر التي كانت القوام الأساسي "لسان العرب" (٤٦).

ونستطيع أن نقول أنّ ابن منظور لم يشافه ولم يسمع لشيخ ولم يشد لذلك العمل الرحل إلى بلاد أخرى ولم يستقبل العرب من أهل البادية ليأخذ عنهم اللغة! بل كان عمله في ذلك أنه وضع هذه المصادر أمامه وأخذ منها ما أخذ إلى أن وصل اللسان إلى عشرين جزء (٤٧).

وبلغ عدد المواد اللغوية التي ضمنها "لسان" ثمانين ألف مادة أي أكثر من مواد معجم الصحاح للجوهري بضعف، أما ترتيب ابن منظور في "لسان العرب" فإنه رتب كتابه حسب ترتيب الجوهري في الصحاح أي نظام الباب والفصل، فلذلك لا نعيد الكلام مرة أخرى، وإذا وجد اختلاف يسير بين هذين المعجمين فهو لا يتعلق بهذا النظام بل بطبيعة المادة التي كانت كثيرة لدى ابن منظور، ولما كان "لسان العرب" خزينة أدبية لغوية عظيمة قام العلماء وحاولوا تسهيله وترتيبه على أن يكون أنفع في مجالات العلم، من هنا ما قام عبدالله اسماعيل الصاوي، وجعل ترتيبه في هذا وفقاً للترتيب الهجائي، وحاول أن يصحح ما كان فيه من الأخطاء ولكن ضلت صيغ كل مادة بدون ترتيب، وقد طبعت بعض أجزاء صغيرة من هذا العمل سنة ١٣٥٥هـ ولكن توقفت، ثم جاء بعده محمد النجاري الذي جعل ترتيب الفاظ اللسان كلها على حروف الهجاء ساقطاً نظام ترتيب المواد فكانت هذه المحاولة أنفع مما قبلها ولكن لم يكتب في حظها أن تقدم أمام أهل العلم في صورة مطبوعة. طبع معجم لسان العرب أول مرة في المطبعة الأميرية ببولاق في القاهرة سنة ١٨٩٢م/١٣٠٨هـ في عشرين جزء، ثم في بيروت سنة ١٩٥٥-١٩٥٦م في ١٠ مجلدات، وكذلك مطبع بيروت في ثلاثة مجلدات كبيرة سنة ١٩٦٩م في دار لسان العرب.

وبعد "لسان العرب" جاء معجم "القاموس المحيط" للفيروز آبادي* وكان غرض المصنف من إصدار هذا العمل أنه ذكر أهمية اللغة في العلوم العربية وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث (على صاحبه الف تحية وسلام) والشريعة، يقول المصنف في مقدمته أنه جهد نفسه في هذا العمل واستمر في البحث والتحقيق عن كتاب يكون جامعاً في هذا الباب ما يشفي السقيم ويروي العطشان، ولكن مع هذا الجهد والبحث لم يفر بشيء يكون نتيجة أماله (٤٨).

والمصادر التي اعتمد عليها مجد الدين في كتابه ما معجمين كبيرين "العياب" للصفاني (٥٧٧-٦٥٠هـ) و "المحكم" لابن سيده (٣٩٨-٤٩٨هـ) والشئبي العجيب في هذا أنّ كل من هذين المعجمين يتعلقان بمدرستين مختلفتين، إذ كتاب "المحكم" على طريقة الخليل في ترتيب

* هو محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين ابو طاهر الفيروزآبادي . ولد سنة ٧٢٩ ببلدة كارزين بفارس (وكانت ولادته بعد وفاة صاحب لسان العرب بثمانية عشرة سنة). حفظ القرآن وهو ابن سبع ثم انتقل إلى شيراز وأخذ عن علمائها . وبعدها رحل إلى العراق فالقاهرة ثم طاف في بلاد الشام وبلاد الروم وبلاد الهند، وكان يقابل في كل بلد كل من عرف بعلمه . وفي عام ٧٩٦ رحل إلى زبيد فتلقيه سلطان اليمن الأشرف اسماعيل وبالغ في إكرامه وولاه قضاء اليمن . توفي الفيروزآبادي بزبيد في اليمن عام ٨١٧، وكان ما يزال يعمل بها قاضياً. وقد قال ابن حجر العسقلاني: "اجتمعت بالجد اللغوي في زبيد وفي وادي الخصيب، وناولني جل القاموس وأذن لي وقرأت عليه من حديثه ، وكتب لي تقيظاً علي بعض تجاريجي وأنشدني لنفسه سنة ثمانمائة بزبيد".
ومن أخذ عنهم مجد الدين الصلاح الصفدي والبهاء بن عقيل والكمال الأسنوي والتقي السبكي وابن القيم . ومن تصانيفه: تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة علي جامع الأصول، والاصعاد إلى رتبة الاجتهاد، وشرح مطول علي التجاري بلغ عشرين سفراً، وشوارق الأسرار في شرح مشارق الأنوار. والروض المسلوف فيما له اسمان علي الألو، وتجريح الموشين فيما يقال له بالسنين والشين.

الحروف حسب المخارج و سار كتاب "العباب" على طريق المدرسة الثالثة في ترتيب المعاجم، فالدافع الذي جعله أن يستفيد من هذه المعاجم هو أنه أراد باستقاء مادته عن المعاجم التي سبقتهما (٤٩).

أما ترتيب مجد الدين في ترتيب معجمه فهو أيضاً من الذين ساروا على ما سارا عليه الجوهري في "الصاح" وابن منظور في "لسان العرب" فمعجم "قاموس المحيط" يشتمل أيضاً على ٢٨ باب حسب ترتيب الحروف الهجائية لأواخر الكلمات فكل باب ينقسم إلى فصول تشير إلى أوائل الكلمات التي ترتب حسب حروف المعجم فلا حاجة إلى التكرار وذكر ما سبق ذكره (٥٠).

وأما عدد مواد القاموس المحيط فقد ذكر أن "القاموس المحيط" ضم ستين ألف مادة وقد زاد على الجوهري بعشرين ألف مادة أما ابن منظور زاد عليه في "لسان العرب" بعشرين ألف مادة (٥١).

وأما ما يميز القاموس أن الفيروز آبادي أراد أن يجعل كتابه نظيراً لكتابه في الصحة والاختصار فكان له ما أراد. وقد أخلى معجمه من شعر العرب القديم وأمثالهم وأبيات القرآن وأحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم وغير ذلك وقد اختصر كثيراً من الكلمات التي يكثر تكرارها في القاموس أثناء الشرح واكتفى برموز بدلاً منها، فقد اتخذ حرف (ع) رمزاً لكلمة موضع، وحرف (د) رمزاً لكلمة بلد، وحرف (ة) رمزاً لكلمة قرية وحرف (ج) رمزاً لكلمة جمع، وحرف (م) رمزاً لكلمة معروف، وتركيب (جج) رمزاً لكلمة جمع.

وهكذا يمتاز القاموس المحيط عن المعجمات الأخرى بما ضمنه صاحبه من أسماء النبات والعقاصير الطبية واصطلاحات العلوم الأخرى مثل النحو والفقه والعروض وغيرها، وكذلك يمتاز القاموس بالأعلام التي ذكرها صاحبه من أسماء الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء وغيرهم من المشاهير، علماً بأن أصحاب المعجم قبل صاحب القاموس كانوا يذكرون أسماء الشعراء وبعض الرؤساء فقط، وتكثر في هذا المعجم أسماء الأماكن والبلدان، ونال القاموس القبول الحسن من العلماء حيث تناولوه بالشروح والتعليقات، ومن أفضل الدراسات التي الفت في نقد القاموس و تصحيحه كتاب "الجاسوس على القاموس" لأحمد فارس الشدياق المتوفى ١٨٨٧م وأكبر شرح وضع له "هو تاج العروس" للسيد محمد مرتضى الزبيدي. طبع القاموس المحيط في بولاق سنة ١٢٧٢هـ و ١٣٠٢هـ، والحلب سنة ١٩٥٢م، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٤م في أربعة أجزاء(٥٢).

اما النتائج التي توصلنا إليها خلال دراستنا هذه فهي أن المعاجم اللغوية لها أهمية كبيرة في جميع الدراسات اللغوية ، والكتب القديمة التي تعرضنا لذكرها هي الأصول والمصادر الحقيقية لهذا الفن ولكنها دقيقة وصعبة جداً من ناحية أسلوبها ومناهجها ويصعب الاستفادة منها للباحثين فبناءً على ذلك قام المتأخرون بتشريح وتلخيص هذه المصادر حيث وضعت للمعاجم مدارس ومناهج مختلفة ورتبت حسب الترتيب الألفبائي حتى أصبحت سهلة ويستفيد منها العام والخاص.

اعترافاً بأن الفضل في ذلك التقدم والرقى الذي نراه اليوم في علم المعاجم هو ثمرة جهود المتقدمين ونتيجة لأعمالهم التي لولاها لما وصل هذا الفن إلى هذه القمة.

الهوامش

- (١) احمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، ٤٢/١.
- (٢) مقدمة الصحاح، ٤٦/١.
- (٣) المصدر السابق، ٤٧/١.
- (٤) احمد رضا، معجم متن اللغة، مكتبة دار الحياة، بيروت ١٩٨٧م، ٤٢/١.
- (٥) مصطفى الحجازي، المعجم الوجيز، منشورات دار الثقافة، ١٩٩٠م، ص ٩.
- (٦) الجاحظ، البيان والتبيين، احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٩/١.
- (٧) احمد أمين، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٩٣٣م، ٢٩٢/١.
- (٨) الزبيدي، سيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، دار الفكر بيروت لبنان، ٥/١.

- (٩) السيوطى، المزهري فى علوم اللغة وانواعها، المكتبة العصرية بيروت لبنان، ص ١٥.
- (١٠) ابن النديم: الفهرست، المكتبة التجارية بمصر ص ٨٣.
- (١١) المزنى جلال الدين: تهذيب الكمال فى اسماء الرجل دار الفكر بيروت لبنان ٥٠٦/٥، الفهرست ص ٦٦، المزهري ٢٨٦/١.
- (١٢) اليافعى: مرآة الجنان، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان ، ١٩٧٠م ، ٢٦٣/١، الصحاح ٥٦/١.
- (١٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار صادر بيروت لبنان ١٩٨٨م، ٤٦/٢.
- (١٤) خليل بن احمد الفراهيدى: كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٤هـ، ص ٣٤٧/٧.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٣٥٥/٧.
- (١٦) المصدر السابق، ص ٣٧٧/٧.
- (١٧) المصدر السابق، ص ٣٤٦/٧.
- (١٨) المصدر السابق، ص ٤٠١/٧.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٤٠٢/٧.
- (٢٠) ابن كثير : البداية دار ابن كثير بيروت لبنان ، ١٦٣/٩ ، كتاب العين ١١/١ ، ابوبكر محمد بن الحسن : طبقات النحويين واللغويين مكتبة الناشر محمد سامى امين الخانجى بمصر ١٩٥٤م ، الصحاح ١٢/١ ، مرآة الجنان ٣٧٠/١ ، ضحى الاسلام ١ / ٢٥ ، مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب دار الكتاب العربى بيروت ، ١٩٧٤م ، ٦٦/٢ .
- (٢١) عز الدين اسماعيل: المصادر الادبية واللغوية فى التراث العربى، مكتبة النهضة العربية، بيروت لبنان، ص ٣٠١-٣٠٢.
- (٢٢) فهمي حجازى (الدكتور) : علم اللغة العربية ، دار غريب ص ١١٩ .
- (٢٣) ابن دريد: جمهرة اللغة ، دار صادر بيروت لبنان ١٣٤٥هـ ، ٥/١ .
- (٢٤) ابراهيم مصطفى: المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية استنبول تركى ، ١٩٧٢م ، ص ١١ .
- (٢٥) الجوهري : الصحاح ٧٢/١ ، ابراهيم مصطفى المعجم الوسيط ، مطبعة طهران ١٩٣٤م ، ١٨/١ ، لسان العرب ٥/١ ، تاج العروس ٧/١ ، جمهرة اللغة ٩/١ .
- (٢٦) ابوبكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، مكتبة محمد سامى امين الخانجى، بمصر ١٩٥٥ء ص ٥٢، تاريخ آداب اللغة العربية ٥٠/٢، مرآة الجنان ٣٦٠/١، المزهري ٢٤/١،
- of Robert P.Gwin Chairman Board of Director Encyclopaedia .Britannia Helen Heming way volume 20 Page 171
- (٢٧) معجم متن اللغة ٤٢/١ ، المزهري ٣٥/١ ، الصحاح ٤٥/١ ، ابجد العلوم ٤٦٩/٢ ، جمهرة اللغة ٣/١ .

- (٢٨) المعجم الوجيز ص ١٢ ، تاج العروس ١٠/١ ، علم اللغة العربية ص ١٤٢ ، لسان العرب ٧/١ ، قبور، احمد محمد (الدكتور)، مدخل إلى فقه اللغة العربية، بيروت دارا لفكر ١٩٩٩م، ص ٢٠٣.
- (٢٩) جمهرة اللغة، ابوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٤٠/١
- (٣٠) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسر العربية، القاهرة: دارالكتب ص ١٠ ، جمهرة اللغة ٥/١ ، المعجم الوسيط ص ١٣ ، علم اللغة العربية ص ٣٨٩ ، ابن عباد، صاحب: المحيط في اللغة، بيروت: عالم الكتب ١٩٩٤م، ٥٠/١ ، فيشر: المعجم اللغوي التاريخي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٦٨م، ١٠/١.
- (٣١) كتاب العين ١٥/١ ، مدخل إلى فقه اللغة العربية ص ٢٥٢ ، الصحاح ٦٤/١.
- (٣٢) المحيط في اللغة ٥٤/١ ، علم اللغة العربية ٣٧٩ ، جمهرة اللغة ٨/١ ، تاريخ آداب اللغة العربية ص ٢٩٠.
- (٣٣) مقاييس اللغة ٣٧/١ ، معجم متن اللغة ٩٩/١ ، المعجم الوسيط ٢٠/١ ، المزهر ٤٧/١.
- (٣٤) فقه اللغة وسر العربية ص ١١ ، علم اللغة العربية ٣٨٠ ، الصحاح ٦٢/١.
- (٣٥) تاج العروس ٨/١ ، المصدر السابق ٦/١ ، كتاب العين ١٦/١.
- (٣٦) المحيط في اللغة ٥٢/١ ، المعجم اللغوي ١١/١ ، معجم الأديباء ٢٩٨/٥.
- (٣٧) مقاييس اللغة ٣٨/١ ، علم اللغة العربية ص ٣٦٦ ، تاج العروس ١٠/١ ، المزهر ٤٨/١ .
- (٣٨) جمهرة اللغة ٣/١ ، المزهر ٣٥/١ ، الصحاح ٤٥/١ ، معجم متن اللغة ٤٢/١ ، اجد العلوم ٤٦٩/٢ ، .
- (٣٩) عز الدين اسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، مكتبة دار النهضة العربية بيروت لبنان ص ٣٠١-٣٠٢.
- (٤٠) المزهر ط دار حلبى ٨٦/١ .
- (٤١) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ص ٣٦٦.
- (٤٢) ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٧/١
- (٤٣) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص ٣٦٧.
- (٤٤) المزهر ط دار حلبى ٩٧/١-٩٩ .
- (٤٥) ابن منظور، علامة ابى الفضل جمال الدين محمد بن عبد الله، لسان العرب، مطبعة دار صادر بيروت لبنان، ١٣٠٠هـ ص ٦/١. هاشم يحيى الملاح، آداب الرفادين، مطبعة جامعة الموصل سنة ١٩٦٧، ٥٥١/٧.

- (٤٦) ابن منظور، لسان العرب، ١/٢-٦.
- (٤٧) محمد فهمى حجازى، علم اللغة العربية، مطبعة دار غريب بدون سنة، ص ١٠٢، جبور عبد النور، المعجم العربى، مطبعة بيروت، ١٩٧٩م، ٥٤٤/٢.
- (٤٨) المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى ص ٣٦٨ .
- (٤٩) المصدر السابق : ٣٦٩ .
- (٥٠) مقدمة لسان العرب ص ٨.
- (٥١) مقدمة لسان العرب ص ٨.
- (٥٢) المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى ص ٣٧٢.

المصادر والمراجع

- (١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار صادر بيروت لبنان ١٩٨٨م.
- (٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، دار صادر بيروت لبنان ١٣٤٥هـ.
- (٣) ابن كثير، البيداية، دار ابن كثير بيروت لبنان، بدون سنة.
- (٤) ابن منظور، علامة ابى الفضل جمال الدين محمد بن عبد الله، لسان العرب، مطبعة دار صادر بيروت لبنان، ١٣٠٠هـ
- (٥) ابن النديم، الفهرست، المكتبة التجارية بمصر، بدون سنة.
- (٦) ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية استنبول تركى، ١٩٧٢م.
- (٧) ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، مطبعة طهران ١٩٣٤م.
- (٨) ابوبكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، مكتبة محمد سامى امين الخانجى، بمصر ١٩٥٥ء
- (٩) ابوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى، جمهرة اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٠) ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح، دار احياء التراث العربى، بيروت، بدون سنة.
- (١١) احمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربى، بيروت لبنان، ١٩٣٣م.
- (١٢) احمد رضا، معجم متن اللغة، مكتبة دار الحياة، بيروت ١٩٨٧م.
- (١٣) احمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، مطبعة دار الكتاب العربى، مصر، بدون سنة.
- (١٤) احمد محمد (الدكتور)، مدخل إلى فقه اللغة العربية، بيروت، دار الفكر ١٩٩٩م.
- (١٥) الثعالبى، ابو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، القاهرة، دار الكتب، بدون سنة.
- (١٦) الجاحظ، البيان والتبيين، احياء التراث العربى، بيروت لبنان، ١٩٦٨م.
- (١٧) جبور عبد النور، المعجم العربى، مطبعة بيروت، ١٩٧٩م.
- (١٨) الزبيدى، سيد محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس، دار الفكر بيروت لبنان.
- (١٩) السيوطى، المزهر فى علوم اللغة وانواعها، المكتبة العصرية بيروت لبنان، بدون سنة.

- (٢٠) عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، مكتبة دار النهضة العربية بيروت لبنان
- (٢١) الفراهيدي، خليل بن احمد، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٤هـ.
- (٢٢) فهمي حجازي (الدكتور)، علم اللغة العربية، دار غريب، بدون سنة.
- (٢٣) محمد فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مطبعة دار غريب بدون سنة.
- (٢٤) مصطفى الحجازي، المعجم الوجيز، منشورات دار الثقافة، ١٩٩٠ م.
- (٢٥) هاشم يحيى الملاح، آداب الرفادين، مطبعة جامعة الموصل سنة ١٩٦٧م.
- (٢٦) اليافعي، مرآة الجنان، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بيروت لبنان، ١٩٧٠م.